## قصصُ الراجين

### رجاءُ يعقوب عليه السلام:

تأمَّلوا معي رجاءَ يعقوب في يوسفَ – عليهما السلام – وَقدْ فقَدَه صبيًّا يَغلِبُ عليه الهلاك، ثمَّ كُفَّ بصرُه مِنَ البكاءِ حزنًا عليه، وَما انفكَّ لحظةً عن الرجاءِ باللهِ في لقياه حتى عاتَبَه بنوه فقالوا: **{قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}** [يوسف: ٨٥]، فكانَ جوابُه جوابَ الراجي في اللهِ – تعالى – ما لا يرجوه مِنَ الخلقِ؛ **{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [يوسف: ٨٦].

ما الذي يعلَمُه مِنَ اللهِ وهمْ لا يعلَمونه؟ إنَّه يعلمُ منْ لُطْفِ اللهِ – تعالى – وَرأفتِه وَرحمتِه بعبادِه مَا أوجَبَ حسنَ ظنِّه به، وقوَّةَ رجائِه فيه، ثمَّ تأمَّلوا دعوته لبنيه أنْ ينبذوا اليأسَ، ويملؤوا قلوبَهم بالرجاءِ وَحسنِ الظنِّ باللهِ تعالى؛ **{يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** [يوسف: ٨٧].

فلمَّا بُشِّرَ به **{قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [يوسف: ٩٦]، إنَّه لَرجاءٌ عظيمٌ باللهِ – تعالى – كُوفِئَ عليه يعقوبُ في الدنيا بلُقيَا وَلدِه، وعودةِ بصرِه، وَاجتماعِ شملِه بأحبَّته، وَإزالةِ مَا في قلوبِ بعضِهم على بعضٍ، مع ما نالوا منْ عزِّ الدنيا وَرفعتِها برفعةِ يوسفَ – عليه السلام –، وأجرُ الآخِرةِ أكبرُ وَأبقى(١).

أحدُ الصالحين:

وَلقدْ رأيتُ مِن الصالحين مَنْ يزدادُ عملًا وَنشاطًا على الرجاءِ، وَيزدادُ نُفورًا على الخوفِ، وهذا معروفٌ عندَ أهلِ الذوقِ وَأنشدوا في ذلكَ:

**لَهَا بوجْهِكَ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَمِنْ أيَاديكَ في أعقابِهَا حَادِي**

**لَهَا أحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا ... عَنِ المَنَامِ وتُلْهِيهَا عَنِ الزَّادِ(٢)**

### طمعُ الصحابةِ في الرجاءِ:

---

(١) مقال على شبكة الألوكة، بعنوان "ليالي الرجاء":
http://www.alukah.net/sharia/0/25042/#ixzz3w7ZA5YZc

(٢) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم القاسمي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط، ص(٢/٢٧٠).

قالَ ابنُ إسحاق: (فلمَّا تجلَّى عنْ عبدِ اللهِ بنْ جحش وَأصحابِه ما كانوا فيه حينَ نزلَ القرآنُ، طمعوا في الأجرِ فقالوا: يا رسولَ اللهِ، أنطمعُ أنْ تكونَ لنا غزوةٌ نُعطى فيها أجرُ المجاهدين؟ فأنزلَ اللهُ فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ٢١٨]؛ فوضعَهم اللهُ مِنْ ذلكَ على أعظم الرجاءِ)(٣).

## دعاءُ أحدِ الصالحين:

قَالَ عمرُ: (حدَّثَني سكينٌ بن مسكينٍ، رجلٌ منْ بني عجل، قالَ: كانَ بيننا وَبينَ ورادِ قرابةٌ، فسألتُ أختًا كانتْ له أصغرَ منه فقلتُ: كيفَ كانَ ليله؟ قالتْ: يبكي عامةَ الليلِ وَيصرخُ، قلتُ: فما كان طعمه؟ قالتْ: قرصًا في أولِ الليل وَقرصًا في آخرِه عندَ السَّحَرِ.

قلتُ: فتحفظين منْ دعائِه شيئًا؟ قالتْ: نعمْ، كانَ إذا كانَ السحر أو قريب منْ طلوعِ الفجرِ سَجَدَ ثمَّ بَكى، ثمَّ قالَ: مولاي عبدُك يحبُّ الاتصالَ بطاعتِك فأَعِنْه عليها بتوفيقِك يا أيها المنال، مولاي عبدُك يحبُّ اجتنابَ سخطِك فأَعِنْه على ذلكَ بمنّك أيها المنان، مولاي عبدُك عظيمُ الرجاءِ لخيرِك فلا تقطعْ رجاءَه يومَ يفرحُ الفائزون، قالتْ: فلا يزالُ على هذا ونحوه حتى يُصْبِحَ)(٤).

## دعاءُ علي بن أبي طالب – رضيَ اللهُ عنه –:

دعاءٌ حسنٌ بليغٌ لأميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب – رضيَ اللهُ عنه –: (وَاغفرْ ليَ الذنوبَ التي تقطعُ الرجاءَ، وَاغفرْ ليَ الذنوبَ التي تَرُدُّ الدعاءَ، وَاغفرْ ليَ الذنوبَ التي تُمْسِكُ غيثَ السماءِ، وَاغفرْ ليَ الذنوبَ التي تُظْلِمُ الهواءَ، وَاغفرْ لي الذنوبَ التي تكشفُ الغطاءَ)(٥).

## فناءُ الكعبةِ وَبابُ الرجاءِ:

أخبرنا القاضي أبو علي حسين بن محمد الصدفي، إجازةً خطَّها بيدِه، قالَ: (قرأتُ على أبي بكر أحمد بن علي الطريثيثي: عن الشعبي، قالَ: لقدْ رأيتُ عجبًا، كنا بفناءِ الكعبةِ، وعبدُ اللهِ بن عمر، وعبدُ اللهِ بن الزبير، وَمصعبُ بن الزبير، وَعبدُ الملكِ بن مروان، فقالَ القومُ بعدَ أنْ فرغوا من حديثِهم: ليقُمْ كلُّ رجلٍ منكم فليأخذ بالركنِ اليماني، ثمَّ يسأل اللهَ حاجتَه فإنَّه يعطي منْ سَعَتِهِ.

قُمْ يا عبدَ اللهِ بن الزبير، فإنَّك أول مولودٍ وُلِدَ في الهجرةِ.

---

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص(٥/٤٠).

(٤) صفة الصفوة، ابن الجوزي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، المحقق: أحمد بن علي، ص(٢/٩٣).

(٥) المستغيثين بالله تعالى عند المهمَّات والحاجات، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأندلسي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، عام النشر: ١٩٩١ م، دراسة وتحقيق: مانويلا مارين، ص(١/١٥٣).

فقامَ فأخذَ بالركنِ اليماني، ثمَّ قالَ: اللهمَّ إنك عظيمٌ تُرجى لكلِّ عظيمٍ، أسألُكَ بحرمةِ وجهِكَ، وَحرمةِ عرشِك، وَحرمةِ نبيِّك – صلى اللهُ عليه وسلم – أن لا تميتني منَ الدنيا حتى توليني الحجازَ وَيسلم علي الخلافةَ.

وَجاءَ حتى جلس، فقالوا: قُمْ يا مصعب بن الزبير.

فقامَ حتى أخذَ بالركنِ اليماني، ثمَّ قالَ: اللهمَّ إنكَ ربُّ كلِّ شيءٍ، وإليك يصيرُ كلُّ شيءٍ، أسألُكَ بقدرتِك على كلِّ شيءٍ أنْ لا تميتني مِنَ الدنيا حتى توليني العراقَ، وَتزوجني سكينةَ بنت الحسين.

وجاءَ حتى جلس وَقالوا: قُمْ يا عبدَ اللهِ بن مروان.

فقامَ وأخذَ بالركنِ اليماني فقالَ: اللهمَّ ربَّ السماواتِ السبعِ وَربَّ الأرضين ذات النبت بعدَ القفرِ، أسألُك بما سألَك عبادُك المطيعين لأمرك، وأسألُك بحرمةِ وجهِك، وَأسألُك بحقِّك على جميعِ خلقِك، ونحنُ خلقُك وَنحن الطائفون حولَ بيتِك، ألَّا تميتني مِنَ الدنيا حتى توليني شرقَها وَغربَها، ولا ينازعني أحدٌ إلا أُتيتُ برأسِه.

ثمَّ جاءَ حتى جلسَ، ثمَّ قالوا: قُمْ يا عبد اللهِ بن عمر.

فقامَ حتى أخذَ بالركنِ اليماني، ثمَّ قالَ: اللهمَّ إنك رحمنٌ رحيمٌ، أسألُك برحمتِك التي سبقتْ غضبَك، وَأسألُك بقدرتِك على جميعِ خلقِك، ألا تميتني منَ الدنيا حتى توجبَ إليَّ الجنةَ.

قالَ الشعبي: فما ذَهَبَت عيناي مِنَ الدنيا، حتى رأيتُ كلَّ واحدٍ منهم أُعطي مَا سألَ، وبُشِّرَ عبدُ اللهِ بن عمر بالجنةِ وَزُيِّنَتْ له رحمهُ اللهُ).

(أُتِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِبَطْرِيقٍ مِنْ بَطَارِقَةِ الرُّومِ مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ مَغْلُولا مُقَيَّدًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ السَّجَّانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، ثُمَّ خَرَجَ، فَلَمَّا بَكَّرَ عَلَيْهِ لَمْ يَجِدْهُ فِي الْحَبْسِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ شَهْرٍ، جَاءَهُ كِتَابُ صَاحِبِ الثَّغْرِ، أَخْبِرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ فُلانًا الْبِطْرِيقَ، وُجِدَ مَطْرُوحًا دُونَ مَنْزِلِهِ.

فَدَعَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ السَّجَّانَ، فَقَالَ: أَخْبَرَنِي مَا فَعَلَ فُلانٌ الْبَطْرِيقُ؟ قَالَ: يُنَجِّينِي الصِّدْقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ، قَالَ: فَمَا كَانَ عَمَلُهُ، وَمَا كَانَ يَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مَنْ يَكْتَفِي مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعًا، وَلا يَكْتَفِي مِنْهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، يَا أَحَدَ مَنْ لا أَحَدَ لَهُ، انْقَطَعَ الرَّجَاءُ إِلا مِنْكَ، أَغِثْنِي، أَغِثْنِي، أَغِثْنِي، قَالَ: بِهَا نَجَا، بِهَا نَجَا)[٦].

لما حضرَ سفيانَ الثوري – رضيَ اللهُ عنه – الوفاةُ جعلَ العلماءُ حولَه يرجونه، وَحُدِّثْنَا عن أحمد بن حنبل – رضيَ اللهُ عنه – أنَّه قالَ لابنِه عندَ الموتِ: (اذكرْ لي الأخبارَ التي فيها الرجاءُ وَحسنُ الظنِّ)،

(٦) المصدر السابق، (٥٦/١).

فلولا أنَّ الرجاءَ وَحسنَ الظنِّ منْ فواضل المقاماتِ ما طلبَه العلماءُ في آخرِ الأوقاتِ عندَ فراقِ العمرِ وَلقاءِ المولى، لتكون الخاتمة بِه وَهمْ يسألون اللهَ حسنَ الخاتمةِ طولَ الحياةِ)[٧].

قالَ الشَّافعيُّ – رحمهُ اللهُ – في مرضِ موتِه:

**فلمَّا قَسَى قَلبي وضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا منِّي لِعَفوك سلَّمَا**

**تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرنتُهُ بِعَفْوِك ربِّي كَان عفوُك أَعْظَم**[٨]

(٧) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م، المحقق: د.عاصم إبراهيم الكيالي، ص(٣٦٦).

(٨) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة، (٢٠٣٨/٥).